الفصل التاسع و العشرون

اصل الشر

ان أصل الخطيئة وسبب وجودها هما مصدر ارتباك لعقول الكثيرين. انهم يرون عمل الشر بعواقبه المرعبة، وهي الشقاء والخراب، فيتساءلون كيف يمكن أن يوجد كل هذا تحت سيادة ذاك الذي هو كلي الحكمة والقدرة والمحبة. هنا سر لا يجدون له ايضاحا. وفي حال عدم التثبت والشك هذين يعمون عن الحقائق المعلنة بوضوح في كلمة الله التي هي جوهرية للخلاص. ثمة أولئك الذين في تساؤلهم عن وجود الخطيئة يريدون ويحاولون التغلغل في اعماق ما لم يعلنه الله قط، ولذلك لا يجدون حلا لمشاكلهم، وعلى غرار المدفوعين بدافع الميل الى الشك والمماحكة يتمسكون بهذا كعذر لرفض الكلمة المقدسة؛ ولكن ثمة آخرون ممن يخفقون في فهم مشكلة الشر العظيمة فهما مرضيا من حقيقة كون التقليد والتحريف قد لفّا بالغموض تعليم الكتاب المقدس عن صفات الله وطبيعة حكمه ومبادئ معاملته للخطيئة.

من المستحيل علينا أن نوضح أصل الخطيئة بحيث نقدم سببا لوجودها. ومع ذلك يمكن فهم أصل الخطيئة واتجاهها النهائي فهما كافيا لاعلان عدالة الله واحسانه في تعامله مع الشر. لا يوجد في الكتاب تعليم اوضح من ان الله لم يكن مسؤولا على الاطلاق عن دخول الخطيئة، وان النعمة الالهية

لم تسحب اعتباطيا، وانه لم يُسجَّل نقص في حكم الله افسح في المجال لظهور العصيان. الخطيئة دخيلة ولا يمكن تعليل وجودها، وهي سر لا مبرر له. فتبريرها هو دفاع عنها. ولو وجد عذر لها او سبب لوجودها لما اعتُبرت خطيئة. ان تعريفنا الوحيد للخطيئة هو ذاك المقدم في شريعة الله وهو انها «التعدي» على الشريعة. انها نتيجة مبدإ يحارب شريعة المحبة العظيمة التي هي أساس حكم الله.

قبل دخول الشر كان يسود السلام والفرح ارجاء المسكونة. كان الجميع في حالة توافق تام مع ارادة الخالق. كانت المحبة لله سائدة، ومحبة كل واحد للآخر كانت غير مغرضة، فالمسيح الكلمة ابن الله الوحيد كان واحدا مع الآب السرمدي ــ واحدا في الطبيعة والصفات والقصد ــ وكان هو الكائن الوحيد في الكون الذي استطاع ان يطلع على كل مشورات الله ومقاصده. وبالمسيح عمل الآب في خلق الكائنات السماوية.« فيه خلق الكل ما في السموات ... سواء كان عروشا ام سيادات أم رياسات أم سلاطين » (كولوسي ١: ١٦) وللمسيح المعادل للآب قدم كل سكان السماء ولاءهم.

ولان ناموس المحبة هو أساس حكم الله فقد كانت سعادة كل الخلائق متوقفة على وفاقهم التام مع مبادئ البر العظيمة. فالله يرغب ان كل خلائقه يقدمون اليه خدمة المحبة والولاء الذي ينبع من التقدير الواعي لصفاته. هو لا يسر باغتصاب الولاء، وهو يوفر للجميع حرية الارادة لكي يؤدّوا له الخدمة الطوعية.

لوسيفر، الكروب الاول

ولكن وجد كائن اختار ان يفسد هذه الحرية. وقد بدأت الخطيئة بالذي اذ لم يَفُقْهُ الا المسيحُ خالقُه حصل على كرامة عظيمة من الله، وكان في أسمى مراكز السلطان والمجد بين ساكني السماء. ان لوسيفر قبل

سقوطه كان هو أول كروب مظلل وكان مقدسا بلا عيب : « هكذا قال السيد الرب انت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عدن جنة الله. كل حجر كريم ستارتك »، « انت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك. على جبل الله المقدس كنت. بين حجارة النار تمشيت. انت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك اثم » (حزقيال ٢٨: ١٢ ــ ١٥) .

كان يمكن للوسيفر ان يظل متمتعا برضى الله ومحبوبا ومكرما من كل اجناد الملائكة، ممارسا سلطاته النبيلة ليبارك بها الآخرين ويمجد صانعه. لكنّ النبي يقول: « قد ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لاجل بهائك » (حزقيال ٢٨ : ١٧). وشيئا فشيئا صار لوسيفر يحتضن رغبة لتمجيد نفسه : « جعلت قلبك كقلب الآلهة » « وأنت قلت ... ارفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع ... اصعد فوق مرتفعات السحاب. اصير مثل العلي » (حزقيال ٢٨: ٦؛ اشعياء ١٤: ١٣ و ١٤). فبدلا من أن يجعل الله هو الاعظم والاسمى في عواطف خلائقه وولائهم حاول لوسيفر أن يظفر بخدمتهم وولائهم لنفسه. واذ كان يصبو الى الكرامة التي قد منحها الآب السرمدي لابنه طلب رئيس الملائكة هذا أن يحصل على السلطان الذي كان من حق المسيح وحده أن يستخدمه.

لقد ابتهج كل سكان السماء وتهللوا بأن يعكسوا مجد الخالق ويذيعوا تسابيحه. واذ كان الله يتمجد هكذا كان الجميع ينعمون بالسلام والفرح. لكنّ نغمة ناشزة أفسدت التناسق والانسجام بين السماويين. فخدمة الذات وتعظيمها، التي تناقض تدبير الخالق، أيقظت التشاؤم بالشر في العقول التي كان مجد الله هو أسمى مطلب لها. لقد توسلت مجالس السماويين الى لوسيفر. واستعرض ابن الله أمامه عظمة الخالق وصلاحه وعدله، وطبيعة شريعته المقدسة غير المتغيرة.ان الله نفسه هو الذي أقر نظام السماء، فاذا خرج لوسيفر على ذلك النظام فسيهين صانعه ويجلب على نفسه الدمار. لكن الانذار المقدم بمحبة ورحمة لا متناهيتين لم يثر في نفسه سوى روح المقاومة. وقد سمح لوسيفر بأن تتفشى روح الحسد للمسيح، وبذلك صار أشد اصرارا.

هذا وان افتخاره بمجده غذى شوقه الى السيادة. فالكرامات السامية التي أوتيها لوسيفر لم تقدر كهبة من الله ولم يُقدَّم لاجلها شكر الى الخالق.لقد افتخر ببهائه ورفعته وتاق الى أن يكون مساويا للّه. كان جند السماء يحبونه ويوقرونه وكان الملائكة يسرون بتنفيذ اوامره وكان هو متسربلا بالحكمة والمجد أكثرر من جميعهم. ومع هذا فان ابن الله كان هو الملك المعترف به في السماء وواحدا في القدرة والسلطان مع الآب. وفي كل مشورات الله كان المسيح شريكا، في حين لم يُسمح للوسيفر بأن يطلع على مقاصد الله. وقد تساءل هذا الملاك العظيم قائلا: « لماذا تكون السيادة للمسيح؟ ولماذا يكرم هكذا ويتفوق على لوسيفر ؟»

تذمر بين الملائكة

فاذ ترك مكانه في محضر الله المباشر خرج لينشر روح التذمر بين الملائكة. كان يعمل بسرية عجيبة، وقد أخفى الى حين غرضه الحقيقي تحت مظهر التوقير لله محاولا ان يثير عدم الرضى عن الشرائع التي تحكم الخلائق السماوية، موعزا اليهم أنها تفرض عليهم روادع لا ضرورة لها. ولما كانت طبائع الملائكة مقدسة أصرَّ هو على وجوب أن يطيعوا ما تمليه عليهم ارادتهم. وقد حاول أن يخلق فيهم عطفا على نفسه اذ صور لهم أن الله قد عامله بالظلم حين منح المسيح كرامة سامية. وادعى أنه اذ يصبو الى سلطان اعظم فهو لا يستهدف تعظيم نفسه انما هو يريد أن يضمن الحرية لكل ساكني السماء حتى بهذه الوسيلة يبلغوا حالة وجود أسمى.

رحمة الله العظيمة

لكنّ الله في رحمته العظيمة احتمل لوسيفر وصبر عليه طويلا. فلم يحطَّه عن مركزه السامي حالما داخله روح التذمر ولا حتى عندما بدأ يتشدق بادعاءاته الكاذبة أمام الملائكة المخلصين. فلقد أبقي في السماء طويلا. وقُدِّم له

الغفران مرة بعد الاخرى على شرط التوبة والخضوع. ومثل هذه المساعي التي لا يمكن أن تبتكرها غير المحبة المحدودة والحكمة الالهية كان القصد منها اقناعه بخطئه. ان روح التذمر لم يسبق ان عرفتها السماء. ولم يكن لوسيفر نفسه يعرف في البدء الى أين كان منساقا كما لم يدرك طبيعة مشاعره على حقيقتها. ولكن بعد أن تبرهن انه لا يوجد مبرر لتبرمه اقتنع لوسيفر بخطئه، وان مطالب الله عادلة، وان عليه أن يعترف أمام كل سكان السماء بعدالتها، فلو فعل هذا لأنقذ نفسه وأنقذ كثيرين من الملائكة. لم يكن الى ذلك الحين قد طرح عنه الولاء لله كلية، ومع أنه قد ترك مركزه كالكروب المظلل فلو أنه كان راغبا في الرجوع الى الله معترفا بحكمة الخالق وقانعا بأن يشغل المركز المعين له في تدبير الله العظيم لكان قد تثبت في وظيفته. لكنّ كبرياءه منعته من الخضوع. وبكل اصرار دافع عن مسلكه وقال انه في غير حاجة الى التوبة وسلم نفسه تمام ليخوض غمار الصراع العظيم ضد صانعه.

وقد اتجهت كل قوى عقله الجبار الآن الى علم الخداع ليظفر بعطف الملائكة الذين كانوا تحت امرته. وحتى حقيقة كون المسيح قد سبق فأنذره ونصحه أُفسدت بحيث تخدم نواياه الخائنة. وقد صوَّر الشيطان للملائكة الذين كانوا يحبونه ويثقون به أكثر من غيرهم أنه قد حُكم عليه ظلما وأن مركزه لم يُحترم وأن حريته ستغفل ويُستغنى عنها. ثم انتقل من تحريف أقوال المسيح الى المراوغة والكذب الصريح المباشر اذ اتهم ابن الله بأنه يقصد اذلاله أمام ساكني السماء. وقد حاول أيضا أن يربك الملائكة الامناء بضربه على وتر كاذب فاتهم الذين لم ينجح في اغوائهم وجذبهم الى طرقه بعدم الاكتراث لمصالح الخلائق السماوية. والعمل نفسه الذي كان يقوم هو به ألقى تبعته على الذين ظلوا أمناء لله. ولكي يدعم اتهامه الله بأنه قد ظلمه لجأ الى تحريف أقوال الخالق وتشويه أعماله. لقد كانت سياسته أن يربك الملائكة بحجج ماكرة بخصوص مقاصد الله. وكل ما كان بسيطا لفَّه هو في ستار من الغموض، وبتحريفه الماكر ألقى ظلال الشك على أبسط أقوال الرب. وكان مركزه

السامي ذو الارتباط الوثيق بتدبيرات الله قد أضفى قوة أعظم على ما صوره فأغوي كثيرون على الانضمام اليه في التمرد على سلطان السماء .

أضاليل الشيطان

والله في حكمته سمح للشيطان بالتقدم في عمله، وقد نضج روح النفور فصار ثورة ناشطة. كان من الضروري ان يكتمل نمو خططه تماما حتى يرى الجميع حقيقة طبيعتها واتجاهها. فلوسيفر الكروب المنبسط كان قد ارتفع الى مركز سامٍ وقد احبته الخلائق السماوية حبا عظيما وكان تأثيره عليهم عظيما وقويا. وحكم الله لم يشمل سكان السماء وحدهم بل كل العوالم التي قد خلقها، وقد ظن الشيطان أنه لو استطاع أن يُشرك ملائكة السماء معه في العصيان فسيكون قادرا ان يُشرك معه في ذلك سكان العوالم الاخرى. انه بكل دهاء عرض نظرته الى المشكلة مستخدما المغالطة والاحتيال للوصول الى أهدافه. وكانت قوته على الخداع عظيمة جدا، وامتاز بتنكره في رداء الكذب. وحتى الملائكة المخلصون لم يدركوا كنه خلقه على حقيقته ولا رأوا في أي اتجاه كان عمله سائرا.

كان الشيطان قد أُكرم اكراما عظيما وكان يتستر ويتخفَّى في كل أعماله حتى صار من الصعب عليه أن يكشف للملائكة طبيعة عمله على حقيقتها. ولم تكن الخطيئة تظهر كما هي شريرة إلى أن اكتمل نموها. لم يكن للخطيئة مكان قبل ذلك في مسكونة الله، ولم يكن للخلائق المقدسة إدراك لطبيعتها وخبثها، كما لم يمكنهم أن يدركوا العواقب المرعبة التي ستنجم عن طرح شريعة الله جانبا. وقد أخفى الشيطان عمله في البداءة تحت اعتراف مموَّه بولائه لله. وادعى أنه انما يعمل على زيادة كرامة الله وتوطيد دعائم حكمه وضمان الخير لكل سكان السماء. واذ كان يرسِّخ روح التذمر في اذهان الملائكة الذين تحت امرته كان يحاول بكل دهاء ان يوهمهم بأنه يحاول

ازالة أسباب التبرم. وعندما أصر على وجوب اجراء تعديلات في نظام حكم الله وشرائعه كان ذلك بحجة كونها لازمة لحفظ التوافق والانسجام في السماء.

لم يلجأ الله في تعامله مع الخطيئة الا الى البر والحق. أما الشيطان فكان يمكنه استخدام ما لم يستطع الله أن يستخدمه، أي المداهنة والخداع. لقد حاول تزييف كلمة الله وشوَّه خطته في الحكم أمام الملائكة مدعيا أن الله لم يكن عادلا في فرض شرائع وقوانين على سكان السماء، وانه اذ كان يطلب من خلائقه الخضوع والطاعة انما كان يطلب تمجيد نفسه فحسب. ولذلك ينبغي أن يثبت بالدليل أمام كل سكان السماء وكذلك جميع سكان العوالم كلها أن حكم الله عادل وناموسه كامل. فالشيطان قد أوهم من حوله أنه هو نفسه كان يعمل ما فيه خير الكون وسعادته، والصفة الحقيقية للمغتصب وغرضه الحقيقي ينبغي أن يفهمه الجميع. وينبغي أن يعطى وقتا فيه يُظهر نفسه بأعماله الشريرة.

افتضاح أضاليل الشيطان

ألقى الشيطان تبعة النزاع الذي أحدثه في السماء على شريعة الله وحكمه. وأعلن أن كل الشر هو نتيجة سياسة الله وحكمه. وادعى أنه كان يهدف الى اجراء تعديلات على وصايا الرب. ولذلك غدا من اللازم أن يظهر طبيعة ادعاءاته ويُري نتائج التعديلات المقترحة في شريعة الله. فلا بد أن يدينه عمله نفسه. وكان الشيطان قد ادعى من البدء انه ليس متمردا ولا عاصيا، فكان يجب أن ترى المسكونة كلها ذلك المخادع بعد اماطة اللثام عنه.

لم تُهلك حكمة الله اللامتناهية الشيطان حتى بعدما تقرر انه لا يستطيع أن يبقى في السماء. ذلك ان خدمة المحبة هي وحدها المقبولة لدى الله، وولاء خلائقه ينبغي أن يرتكز على الاقتناع بعدالته ورحمته واحسانه. ان سكان السماء والعوالم الاخرى اذ لم يكونوا مستعدين بعد لادراك طبيعة الخطيئة أو عواقبها لم يكونوا يستطيعون أن يفهموا

حينئذ عدالة الله ورحمته في اهلاك الشيطان. فلو كان قد مُحي من الوجود في الحال لكانوا هم يخدمون الله مدفوعين بدافع الخوف لا بدافع المحبة. ولما أمكن ملاشاة تأثير ذلك المخادع تماما واستئصال روح التمردكلية. وكان لا بد من أن يصل الشر الى حالة النضوج. فلأجل خير المسكونة كلها مدى اجيال التاريخ كان لا بد للشيطان من أن ينشر مبادئه حتى يمكن للخلائق أن ترى اتهاماته التي وجهها الى حكم الله على حقيقتها لكي تكون عدالة الله ورحمته وثبات شريعته فوق متناول كل شك أو تساؤل.

كان لا بد أن يكون تمرد الشيطان درسا لكل المسكونة في الدهور التالية وشهادة دائمة على طبيعة الخطيئة ونتائجها المريعة. فنتيجة حكم الشيطان وتأثيره على الناس والملائكة ستُري النتائج المحتومة لطرح سلطان الله جانبا. وهي ستشهد ان سعادة كل الخلائق التي قد صنعها مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود حكم الله وشريعته. وهكذا سيكون تاريخ اختبار هذا العصيان المرعب حارسا دائما للاجناد السماويين يحفظهم من أن ينخدعوا بالنسبة الى طبيعة العصيان ويجنبهم ارتكاب الخطيئة ويقيهم شر قصاصها.

يجاهر بازدرائه بالشريعة

وقد ظل ذلك المغتصب العظيم يبرر نفسه حتى نهاية ذلك الصراع الذي حدث في السماء. وعندما أُعلن أنه هو وكل مؤيديه لا بد أن يُطردوا من موطن السعادة جاهر حينئذ رئيس العصاة ذاك بازدرائه شريعة الخالق بكل جرأة. وقد ردد ادعاءاته بأن الملائكة في غير حاجة الى من يسيطر عليهم بل ينبغي تركهم ليفعلوا ما يريدون لانهم دائما يفعلون الصواب. وقد شهَّر بوصايا الله قائلا انها تحد من حريتهم وأعلن انه يقصد ان يلاشي الشريعة، فاذ

يتحرر اجناد السماء من هذا الرادع يمكنهم أن يدخلوا الى حالة وجود أسمى وأمجد.

وقد أجمع الشيطان وجنوده على أن يلقوا تبعة تمردهم كلها على المسيح، وأعلنوا أنهم ما كانوا ليتمردوا لولا التوبيخ الذي وُجه اليهم. وهكذا اذ ظل رئيس العصاة ومؤيدوه عنيدين ومُتحدِّين في خيانتهم، وهم يحاولون عبثا أن يهدموا حكم الله، وعلى رغم تجديفهم كانوا يدعون انهم ضحايا السلطة التعسفية، طردوا أخيرا من السماء.

هذه الروح نفسها التي أوعزت بالتمرد في السماء لا تزال توحي بالعصيان على الارض. لقد ظل الشيطان يعامل الناس وفق السياسة ذاتها التي اتبعها مع الملائكة. وروحه تملك الآن على أبناء المعصية. فهم مثله يحاولون أن يهدموا روادع شريعة الله ويعدون الناس بالحرية عن طريق التعدي على وصايا الرب. هذا، وان توبيخ الخطيئة ما زال يثير روح العداء والمقاومة. فعندما تمس رسائل الانذار التي يرسلها الله ضمائر الناس فالشيطان يجعلهم يبررون أنفسهم ويطلبون عطف الآخرين ورضاهم عن طريق الخطيئة الذي هم فيه سائرون. وبدلا من تقويم سلوكهم واصلاح اخطائهم يثيرون الغضب على من يوبخهم كما لو كان هو سبب المتاعب الوحيد. فمنذ أيام هابيل البار الى يومنا هذا نجد هذه الروح نفسها سائدة ضد من يجرؤون على إدانة الخطيئة.

ومثلما شوّه الشيطان صفات الله في السماء اذ جعله يبدو صارما ومستبدا أغوى الناس على ارتكاب الخطيئة. ولما بلغ هذا الحد من النجاح أعلن أن نواهي الله غير العادلة هي التي ادت الى سقوط الانسان مثلما ساقته هو الى العصيان.

لكنّ الاله السرمدي نفسه أعلن عن صفاته قائلا : « الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء. حافظ الاحسان الى الوف غافر الاثم والمعصية والخطيئة ولكنه لن يبرئ ابراء » (خروج ٣٤: ٦ و ٧).

ان الله بطرده الشيطان من السماء أعلن عدله وأبقى على كرامة عرشه. ولكن عندما اخطأ الانسان بانصياعه الى غوايات هذا الروح المرتد قدم الله البرهان على محبته اذ بذل ابنه الوحيد ليموت لاجل جنسنا الساقط. ففي الكفارة انكشفت صفات الله. ان حجة الصليب القوية تعلن لكل المسكونة ان طريق الخطيئة الذي قد اختاره لوسيفر لم تكن تبعته لتقع على حكم الله.

وفي النضال بين المسيح والشيطان في أثناء خدمة المخلص على الارض فضحت صفات المخادع العظيم. ولم يكن هنالك شيء أفعل في اقتلاع الشيطان من عواطف ملائكة السماء وكل المسكونة الامينة من الحرب القاسية التي شنها على فادي العالم. ان تجديفه الجريء عندما طلب من المسيح ان يسجد له، وجرأته المتغطرسة اذ حمله الى الجبل العالي والى جناح الهيكل، ونيته الخبيثة التي فُضحت عندما ألح عليه أن يطرح نفسه الى أسفل من ذلك العلو الشاهق، وحقده الذي لا يهجع الذي جعله يتعقبه من مكان الى مكان، وايغاره صدور الكهنة والشعب ضده حتى رفضوا محبته وأخيراً صرخوا ضده قائلين : « اصلبه اصلبه »، كل هذا أثار دهشة المسكونة وحنقها.

ان الشيطان هو الذي أوعز الى العالم بأن يرفض المسيح. لقد بذل سلطان الشر قصارى جهده وقوته ودهائه لاهلاك يسوع، لانه رأى أن رحمة المخلص ومحبته وحنانه واحشاء رأفته كانت تصور للعالم صفات الله. وقد قاوم الشيطان كل مطلب قدمه ابن الله واستخدم الناس وسائل في يده ليملأ حياة المخلص بالآلام والاحزان. والمغالطات والاكاذيب التي حاول بواسطتها أن يعطل عمل يسوع، والعداوة التي أظهرها عن طريق أبناء المعصية واتهاماته القاسية لذاك الذي كانت حياته حياة الصلاح الذي لا يُبارى، كل ذلك كان باعثه الانتقام المتأصل

في نفسه. فنيران الحسد والخبث المحتبسة والكراهية وحب الانتقام اندلعت ألسنتها عند صليب جلجثة ضد ابن الله بينما كان السماويون يشخصون الى هذا المنظر في رعب صامت .

وعندما أكملت الذبيحة العظيمة صعد المسيح الى الاعالي وقد رفض قبول تمجيد الملائكة حتى قدم هذا الطلب : « اريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا » (يوحنا ١٧: ٢٤). فحينئذ بمحبة وسلطان لا يعبر عنهما خرج الجواب من عرش الآب يقول : « لتسجد له كل ملائكة الله » (عبرانيين ١: ٦). لم تكن في حياة يسوع أي لطخة. لقد انتهى اتضاعه وكملت ذبيحته وأعطي له اسم فوق كل اسم.

أما الآن فها اثم الشيطان يبدو بلا عذر. لقد ظهر في صفته الحقيقية ككاذب وقاتل. وقد رؤي ان الروح نفسها التي بها تسلط على بني الانسان الذين كانوا تحت سيطرته كان يريد أن يظهرها لو سُمح له بالتسلط على سكان السماء. لقد ادعى أن التعدي على شريعة الله سيجيء بالحرية والرفعة ولكن وُجد أن من نتائجه العبودية والانحطاط.

وظهرت اتهامات الشيطان الكاذبة ضد صفات الله وحكمه على حقيقتها. لقد اتهم الله بأنه انما يطلب مجد نفسه فقط حين يطلب من خلائقه أن يقدموا اليه الخضوع والطاعة، كما أعلن أنه في حين فرض الخالق على الجميع أن ينكروا ذواتهم فانه هو نفسه لم يمارس انكار الذات ولم يُقدم أي تضحية. وقد رؤي الآن أنه في سبيل خلاص الجنس الساقط الخاطئ أقدم حاكم الكون على أعظم تضحية يمكن للمحبة أن تقوم بها : « لان الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه » (٢ كورنثوس ٥: ١٩). كما رؤي أيضا أنه في حين فتح لوسيفر الباب لدخول الخطيئة بتلهفه على الكرامة والسيادة فان المسيح لكي يبيد الخطيئة وضع نفسه وأطاع حتى الموت .

لاجل الانسان

لقد اظهر الله مقته مبادئ العصيان ولقد رأت السماء كلها اعلان عدله في ادانة الشيطان وفي فداء الانسان. كان لوسيفر قد أعلن أنه اذا كانت شريعة الله لا تتغير وقصاص التعدي عليها لا يمكن ان يغتفر أو يبطل فلا بد للمتعدي أن يُحرم الى الابد من رضى الخالق. وقد ادعى أن الجنس الخاطئ هم بعيدون عن متناول الفداء ولذلك فقد صاروا فرائسه شرعا. لكنّ موت المسيح كان حجة لا تُدحض في صالح الانسان. لذا وقع قصاص الشريعة على ذلك الذي كان معادلا لله، وكان للانسان مطلق الحرية لقبول بر المسيح وبحياة التوبة والتذلل ينتصر كما قد انتصر ابن الله على قوة الشيطان. وهكذا نرى أن الله بار ويبرر كل من هو من الايمان بيسوع .

لكنّ مجيء المسيح الى العالم ليتألم ويموت لم يكن لمجرد اتمام الفداء. فلقد أتى «ليعظم الشريعة ويكرمها». ليس فقط لكي يعتبر سكان هذا العالم الشر كما يجب أن يعتبروه وانما ليعلن لسكان العوالم جميعا في كل المسكونة ان شريعة الله لا تتغير. فلو أمكن أن تغفل مطالبها لما مسَّتْ الحاجة الى أن يسلم ابن الله حياته للتكفير عن التعدي عليها. فموت المسيح برهان على ثباتها وعدم تغيرها. وتلك الذبيحة التي قد أوجبتها المحبة غير المحدودة على الآب والابن لاجل فداء الخطأة تعلن لكل المسكونة ان العدل والرحمة هما أساس شريعة الله وحكمه، وهو ما لم يكن يكفي لتقريره شيء أقل من تدبير الكفارة هذا.

وعندما تنفذ الدينونة أخيراً سيُرى أنه لا يوجد سبب للخطيئة وعندما يقدم ديان كل الارض هذا السؤال الى الشيطان قائلا : « لماذا عصيت عليَّ وسلبتني رعايا ملكوتي ؟ » فلن يكون هنالك عذر لمبتدع الشر. سيستد كل فم ولن يستطيع أجناد العصيان الكلام.

ان صليب جلجثة، فضلا عن كونه يعلن عن ثبات الشريعة، يعلن أيضا أن أجرة الخطيئة موت. ففي صرخة المخلص وهو يسلم الروح « قد أكمل » دق جرس موت الشيطان. فذلك الصراع الهائل الذي كان محتدماً أمدا طويلا بُتَّ فيه حينئذ وصار استئصال الشر نهائىا امرا مؤكدا. لقد اجتاز ابن الله في باب القبر « لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي ابليس » (عبرانيين ٢: ١٤). ان شوق لوسيفر الى تمجيد نفسه جعله يقول : « ارفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصير مثل العلي ». لكنّ الله يعلن قائلا له : « أصيرك رمادا على الارض ... ولا توجد بعد الى الابد » (اشعياء ١٤: ١٣ و ١٤؛ حزقيال ٢٨ : ١٨ و ١٩). فعندما « يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم اصلا ولا فرعا » (ملاخي ٤: ١).

وسيكون كل سكان المسكونة شهودا على طبيعة الخطيئة وعواقبها. ثم ان استئصالها النهائي الكامل الذي قد يسبب للملائكة الخوف ويهين الله في بادئ الامر سيزكي محبته ويوطد كرامته أمام خلائق الكون الذين يسرون بعمل ارادته والذين شريعته في قلوبهم. ولن يعود الشر للظهور في ما بعد. وكلمة الله تقول : « لا يقوم الضيق مرتين » (ناحوم ١: ٩). وشريعة الله التي ذمها الشيطان قائلا عنها انها نير عبودية ستكرم على أنها ناموس الحرية. والخليقة الممحصة المزكاة لن ترتد ثانية عن ولائها لذاك الذي قد ظهرت صفاته على أنها المحبة التي لا يُسبر غورها والحكمة غير المحدودة أمام عيون الجميع .